مقدمة الكتاب

الحمد لله العلى الأعلى الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، والذى أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى... أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ﷺ.

وبعد،

فإن الناظر إلى أحوال الناس المتأمل شؤون معاشهم يرى ما يُوجعه ويؤلمه من فساد الضمائر ووهن الذمم، وسوء الخُلق، واستفحال الشر، وكثرة الفساد... وما هذا إلا بسبب تهميش ريادة الدين، وتقليص دور المتدينين، وإهمال جانب التربية، وغياب المُربى المُخلص الناصح.

ومساهمة منا فى إصلاح المجتمع وتصحيح عقيدته وبث الأخلاق والفضائل في نفوس الناس، فإننا نهدى هذا الكتاب إلى من يهمه الأمر؛ ليكون صيحة إنذار توقظ النائمين، وقبس نور يهدى الحائرين، وسوط حق يرد كيد الباطل ويدمغه في وكره.

وموضوع الكتاب "من أخلاق المؤمنين" المستمدة من فيض القرآن وأنوار الرسول الكريم كتبها فضيلة الشيخ الراحل/ عبد العاطى على سليم... الذى عرفه أحبابه وتلامذته مرشداً ناصحاً، وداعية مثقفاً، يعايش الواقع ويحمل هموم المجتمع.

ولقد جمعت هذه الصفحات من تراثه العامر حتى ينتفع بها الناس؛ ولتكون صدقة جارية له في قبره وامتداداً له في عمره، وصدق القائل:

الخـــط يبقـــى زمانـــا بعـــد كاتبـــه ::: وصاحب الخط تحـت الأرض مـدفون

فالعلم الذى يخلفه المرء من بعده يكون سبباً في دوام ذكره وتجديد ذكراه، ومن أجمل ما قيل في حق العلماء قول أحدهم:

مـــا الفخـــر إلا لأهـــل العلـــم إنهـــم ::: علـــى الهـــدى لمـــن اســـتهدى أدلاء
وقدر كل امـرئ مـا كـان يحسـنه ::: والجـــاهلون لأهـــل العلـــم أعـــداء
ففـــز بعلـــمٍ تعـــش بـــه أبـــداً ::: النـــاس مـــوتى وأهـــل العلـــم أحيـــاء

وأسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته وجميل لطفه وعين رعايته، وأن يفتح لنا أبواب التوفيق والرضا والقبول.

والله تعالى نعم المولى ونعم النصير،

محمد عبد العاطى سليم
شعبان ١٤٢٢/ أكتوبر ٢٠٠١

* * *

تمهيد

التربية الخلقية في الإسلام

من قديم الزمان والعلماء والفلاسفة والمصلحون يتحدثون عن الأخلاق وعن التربية الخلقية. وبعض الفلاسفة والمفكرين يغرقون في تأملاتهم ويذهبون مذاهب شتى لا تمت إلى الواقع بصلة ولا يمكن تحقيقها إلا فى خيالهم فقط. فى عالم المثل والمدينة الفاضلة اللذان قال بهما أفلاطون فيهما كثير من الشطحات والخيالات.

ويعرف ذلك كل من درس فكر هذا الفيلسوف! ولست بصدد الحديث عن ذلك. ولكني أريد أن أتكلم عن التربية الخلقية فى الإسلام. وكيف عالج الإسلام ذلك الجانب الخلقي فنقول: إن التربية الخلقية فى الإسلام تربية مثاليه بمعنى أنها المثل الأعلى لمن ينشد الكمال. وليس هناك زيادة لمن يبتغى المزيد عليها. وهى مع كونها مثاليه فهي أيضا واقعية بمعنى أنه من الممكن تحقيقها لمن أخذ نفسه بتعاليم الإسلام وهدى القرآن.

وأول ما نلاحظه فى التربية الخلقية أن الإسلام يربط الأخلاق أولا بالإيمان والعقيدة التى هي الفيصل بين الكفر والإسلام...

فنجد مثلا الحديث النبوي يقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها لا إلـه إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» ويقول: «**الحياء شعبة من الإيمان**» [1]. ويقول: «**الصبر نصف الإيمان**» [2]. ويقول: «**لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهـو مـؤمن**» [3]. والإسلام حين يذكر أهله بالعقيدة التى هى أعز شيء عندهم ويربطها بالخلق إنما ينبه الجانب الحساس فى نفوسهم، وليجعل أخلاقهم دائما فى حراسة العقيدة.

ونجد كذلك أن الإسلام يربط الخلق بالعبادة. فجعل من العبادات معامل من للتحليل النفسي ومراكز للتدريب الاجتماعي فنجد مثلا عبادة الصلاة. هذه العبادة التى تتكرر فى اليوم والليلة خمس مرات مفروضات لا يكفى فيها ما ذكره الفقهاء من شروط صحة أو شروط وجوب وابتعاد عن مبطلاتها - أبدا لا يكفى فيها هذا وحسب وإنما الصلاة هي التى تضم إلى جانب هذا الجانب الخلقي الذي يصقل النفس ويطهر الوجدان

---

(١) رواه البخارى.
(٢) الحديث رواه الترمذى.
(٣) رواه البخارى.

قال تعالى:{إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء وَالْمُنكَـرِ}[1]. فالنتيجة من الصلاة هى أن يكون بين المصلى وبين الشر والفساد حاجز يمنعه. وضمير يضبطه. وعقل يحول بينه وبين ذلك ومن لم تنهه صلاته عن ذلك لم يزدد من الله إلا بعداً. وكم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب والنصب. وكذلك لا يقتصر فضلها على هذا الجانب السلبي فى البعد عن الفحشاء والمنكر لأنها تخلق فى المسلم جانبا ايجابيا. فالمصلى عطوف على المسكين وابن السبيل. يرحم الأرملة ويعين المصاب يقول الله في الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي. ولم يستطل بها على خلقي. ولم يبت مصرا على معصيتي. وقطع نهاره في ذكري. ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب. ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي استحفظه بملائكتي. وأجعل له في الظلمة نور. وفي الجهالة حلما. ومثله فى خلقي كمثل الفردوس فى الجنة» [2] هذه هى الصلاة الحقة. الصلاة المقبولة. الصلاة التى تنفع صاحبها حين يقف وحيداً فريداً بين يدي ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. أما هذه الصلاة التى يؤديها الكثير من مسلى اليوم فهي أشبه ما تكون بالميت - فاقد الروح هي حركات فقط. وأعمال فحسب.

والصيام هو يعدل وحده ربع الإيمان كما قال رسول الله: «الصوم نصف الصبر». وقال عن الصبر: «الصبر نصف الإيمان» هذه العبادة التى هي سر بين العبد وربه لا يكفى فيها ما ذكر من شروط صحة ووجوب فقط. فإن الصوم له صورتان: الصورة الأولى: هي صورة الكف عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر حتى غروب الشمس الصورة الثانية: هي كف الجوارح عن الآثام. والصورة الثانية هذه هى لباب الصوم وروحه. فالصائم لا يرفث ولا يفسق ولا يصخب. وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم إنى صائم. والصائم كذلك لا يغتاب ولا ينم ولا يكذب لأن ذلك يبطل صومه بمعنى فقد الثواب وضياع الأجر... [3].

قال رسول الله ﷺ: «خمس يفطرن الصائم: الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة» وبذلك يعلم أنه ليس الإفطار فقط بالمفطرات الحسية وليس كل من كف عنها صائم. يقول الإمام الغزالى فى كتابه الفذ (إحياء علوم الدين): (وكم من صائم

---

(١) سورة العنكبوت. الآية رقم (٤٥).

(٢) رواه البزار من حديث ابن عباس. وسنده ضعيف ولكنه صحيح من جهة المعنى.

(٣) جاء هذا المعنى فى حديث صحيح رواه البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله قال: (الصيام جنة. فلا يرفث ولا يجهل. وإن امرىء قاتل أو شاتمه فليقل: إنى صائم مرتين).

مفطر وكم من مفطر صائم). فالمفطر هو الذى يحفظ جوارحه من الآثام ويأكل ويشرب. والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش لكنه يطلق العنان لنفسه تعربد وتفسق وتزيغ وتنحرف.

والزكاة وهى المظهر الأصيل من مظاهر التعاون الإسلامى والتآخى بين المسلمين. هذه العبادة بوتقة تصان فيها الغرائز المادية. فجنى المال وجمعه وعدم إنفاقه غريزة. لكن التربية الخلقية تخلق من هذه الغريزة الجشعة غريزة أخرى تتسامى عن ذلك وتجعل المال فى خدمة المجموع. والمزكى حين يخرج صدقته لا يعتبر هذا تفضلاً منه على الفقير بل يعتبر هذا حقاً له ودِيناً عليه امتثالاً لقوله تعالى:{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[1] وهو لا يمتن على من أخذ الصدقة لأن القرآن يقول{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}[2] وعلى هذا تقاس جميع العبادات. فالغاية من التربية الخلقية فى الإسلام أن تتهذب النفس الإسلامية وتتكامل لتستطيع القيام بواجبها نحو الله ونحو بنى جنسها. وأن تتطهر المشاعر الوجدانية وتسموا وتحلق فى رحاب الله حيث تشرق عليها الأنوار القدسية السرمدية. وأن تخلق لدى الفرد المسلم رقابة داخلية لا تستمد سلطانها من أمر خارجى وإنما تقيم فى نفس المسلم محكمة عادلة تراقب أدق المراقبة. وتحاسب أعسر حساب. ثم تحكم أعدل حكم. وتنفذ - دون تدخل شرطة أو قانون - أضمن تنفيذ.

التربية الخلقية فى الإسلام لا تكتفى بأن تلقن المسلم الفضائل فيحفظها ويرددها. ولكن تعنى أولاً قبل كل شىء بأن تتحول هذه الفضائل إلى أعمال. فالصدق مثلاً ليس نظرية تلقن وإنما هو عادة يجب أن ينطبع بها الذهن ويمرن عليها اللسان وتستقر فى اللاشعور. فإذا كان المرء من طبيعته أن يأكل ويشرب وينام ويستيقظ. فإن التربية الخلقية فى الإسلام تجعل الفضائل عادات وطبائع كعادات الأكل والشرب وطبيعة الحركة والسكون.

إن التربية الخلقية فى الإسلام تحرر الإنسان من أدران المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية وجمالها. هذه هى الغاية من التربية الخلقية فى الإسلام... تهذيب للنفس، وتطهير للوجدان، وارتقاء بالمشاعر نحو مدارج الجمال والكمال والله أعلى وأعلم.

عبد العاطى على سليم

---

(١) سورة المعارج. الآيتان رقم: (٢٤، ٢٥).
(٢) سورة البقرة. الآية رقم: (٢٦٤).